منعطفان في دراسات الترجمة: المقاربة الثقافيّة والمقاربة الاجتماعيّة

أ.د. بهاء الدين محمد مـزيد*

(1) بين اللغة والثقافة

لكلمة "الثقافة" في اللغة العربيّة - وهي من "ثقف" - دلالات تدور حول التهذيب والإحاطة والإلمام، وهي تشير في اللغات الغربيّة إلى تنمية المعارف والسلوكيّات ومن الطريف أنّها جزء لا يتجزّأ من كلمة "الزراعة" agriculture وأصلها agrum وتعني الأرض أو المزرعة أو الحقل، و culture وتعني الإنبات أو الزّرع. وعلى سبيل الإيجاز تشير الثقافة إلى الأفكار والمعتقدات والسلوكيّات. وهي في هذا تبتعد من الحضارة civilization التي تعني التطوّر المادّي العمراني – على ما بين المصطلحين من تقاطعات وتداخلات.

الموقف الأول من العلاقة بين اللغة والثقافة هو موقف الفصل الجائر بينهما – كما نجد في نظريّة النّحو التي طوّره تشومسكي Chomsky في النّصف الثاني من القرن العشرين والتي لا تقيم وزنًا للسياق في تحليل البنى والتراكيب اللغويّة.

لكنّ من تحصيل الحاصل اليوم أنّ اللغة لا تفارق الثقافة، ولا الثقافة تفارق اللغة. وقد ظلّت العلاقة بينهما موضع جدل. لابن خلدون – في هذا الصدد - كلام مهمّ في "اختلاف أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من آثار في أبدان البشر وأخلاقهم" (تاريخ ابن خلدون، ص 48). ولمصطفى صادق الرافعي (1911) كلام بليغ في تفسير نشأة المفردات وتعبيرها عن البيئة التي تحيط بمن يبتدعونها:

> وقد وجد علماء اللغات أيضا أنّ من أولئك من يعبّرون عن معنى الصلابة بلفظ "الحجر"، وعن معنى الاستدارة بلفظ "القمر"، وهكذا من المترادفات التي هي أصول طبيعيّة ثابتة لتلك المعاني المتفرّعة. وذكروا أنّ أهالي المكسيك لمّا رأوا السفينة أول مرّة سمّوها "بيت الماء"، وأنّ أهل ميسوري لم يكن عندهم غير الأدوات المتّخذة من الصوان، فلما جيء إليهم بالحديد والنحاس سمّوا الأول "حجرا أسود" والثاني "حجرا أحمر"، وأنّ بعض أهالي أمريكا لمّا رأوا الخيل أول مرّة ولم تكن في أرضيهم اختلفوا في تسميتها، فبعضهم سمّى الجواد "الكلب المسحور"، وآخرون سمّوه "الخنزير الحامل للإنسان" ... (ص 52).

ومن أثر البيئة والثقافة في اللغة ما يرد في كلام مؤنس (1998):

> "ومثل هذا يقال عن لهجة الكلام المحليّة، فإنّ شعوب العروبة تتكلّم لهجات من العربيّة، وهذه اللهجات تكوّنت على طول أحقاب تاريخيّة من طريقة النّاس بالنّطق بالألفاظ، فهناك في بلاد العروبة شعوب كانت تنبر المقطع الأول في لغاتها قبل الفتح العربي، ومنها ما ينبر المقطع قبل الأخير، ومنها ما لا ينبر أيّ

* أستاذ اللغويات والترجمة، قسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة سوهاج.

> مقطع فكان نطقه العربية على هذا الأساس. وفي كلّ بلد دخلت العربيّة الجارية على الألسن عبارات محليّة قديمة، وأخرى حديثة. ومن الشعوب ما هو قليل الكلام بطبعه فلا تلين الألفاظ في منطقه، ومنها ما يكثر الكلام ويسرع فيه فتلين الألفاظ في النطق. وعلى الجملة فإنّ البدو أقلّ كلاما من الحضر، لأنّهم معظم الوقت متفرقون في البوادي مع قطعانهم، والقرويون أكثر كلاما من أهل المدن لأنّ الكلام هو أكثر وسائل التسرية عن النفس عندهم. في حين أنّ الحضر أكثر كلاما لاجتماع بعضهم ببعض، فتجمُد اللغة ويبطؤ تطوّرها على لسان البدو، وتلين وتسهل وتتطوّر على ألسنة الحضر. ولهذه الأسباب تنشأ اللهجات من نفس اللغة، وتتسع الهوّة بينها على الزمن، وكلّ لهجة صورة من طبيعة أهلها وأثر من بيئتهم وصورة تفكيرهم والمعاني التي تدور في أذهانهم، فهي على هذا مظهر ثقافتهم، أي أسلوبهم في الحياة" (ص ص 375-376)

إلى هذا المعسكر الذي يرى أسبقيّة الثقافة على اللغة – وهو الموقف الثاني من العلاقة بين اللغة والثقافة - ينتمي روبيرت كابلان Kaplan – واحد من روّاد دراسات البلاغة المُقارنة في الغرب – الذي يُشير إلى أنّ اللغة الإنجليزيّة وطرائق تعبيرها تطوّرت من الثقافة الأنجلوساكسونيّة. ثُمّ يتناول طرائق التعبير في الثقافات المختلفة فيرى مثلا أنّ التعبير في اللغات الشرقيّة العربيّة "دائري"، فيه لفّ ودوران، بينما التعبير في اللغة الإنجليزيّة مُباشر مُستقيم (1966، ص 11). وهذا كلامٌ فيه نَظَر.

بعض المفكّرين يرون التأثير في الاتّجاه المعاكس – على معنى أنّ الثقافة تتشكّل باللغة، لا العكس - فيرون أنّ حدود عالم المتكلّم ترسمها لغته، وهذا هو الموقف الثالث من العلاقة بين اللغة والثقافة. يرى إدوارد سابير وبنيامين لي ويرف Sapir and Whorf أنّ كلّ لغةٍ تعكس رؤيةً مُحدّدة خاصّة بها دون غيرها للعالم، وتنظِّم لغةُ أيّ مجتمعٍ ثقافته الخاصّة به، أيّ أنّها تنظّم إدراك أفراد هذا المجتمع الواقع وكيف يتصوّرون العالم. وتنتهي الفروق بين لغتين إلى نمطين مختلفين من السمات الفكريّة والانفعاليّة على حدٍّ سواء. في كلام سابير وورف كثير من الحقيقة، فكلّ نظام علامات لغويّة أو غير لغويّة يفرض على مُستعمليه تقسيمًا خاصًّا به، وفئاتٍ ترتبط فيما بينها في شبكاتٍ مُتعدّدة المستويات من العلاقات – من مستوى الأصوات، إلى الحروف، ثُمّ المفردات، ثُمّ العبارات، فالجمل، فالنّصوص.

يقول سابير إنّ "اللغة هي الدليل على الواقع الاجتماعي والمرشد إليه، وهي التي تشكّل إلى حدّ كبير وعينا بالمشكلات والعلاقات الاجتماعيّة، فالبشر لا يعيشون في العالم المادّي فحسب، ولا في عالم المُمارسات والنشاطات الاجتماعيّة كما شاع فهمها، بل يعيشون تحت رحمة اللغة التي اختار مجتمعهم أن تكون أداة التواصل بين أفراده. ومن قبيل الوهم المَحض أن نتصوّر أنّ امرًا يمكن أن يتكيّف مع الواقع الذي يحيط به من غير استعمال اللغة". "ليس هناك لغتان متطابقتان إلى الحدّ الذي يسمح بتصوّر أنّهما تعكسان نفس الوقت الاجتماعي، فالطريقة التي نرى بها ونسمع ونختبر الموجودات هي نتاج ما ألفه المجتمع من ميول في التفسير والإدراك". (سابير Sapir، 1929، ص 209).

الموقف الرابع من العلاقة هو القول بارتباط اللغة والثقافة الذي لا ينفصم وأنّ كلتيهما تؤثّر في الأخرى. التأثير متبادل، ولا سبيل إلى الجزم بأسبقيّة إحداهما على الأخرى. إذا

كانت اللغة هي الثوب الذي يكسو الفكر dress of thought، فلا مفرّ من أن يضيق الثوب ويتّسع بمقدار حجم الجسم، ولا بدّ من أنّ الجسم يختنق أو يسترخي مع سعة الثوب أو ضِيقه.

(2) اللغة بنت الاجتماع

"اللغة بنتُ الاجتماع" – كما يقول الرافعي (ص 54) – والأصل في تشعّب اللغات تشعّب الجماعات، فالذي ينفق حياته في قريته الصغيرة لا يفارقها لا يلتحم بغيرها من الجماعات أغلب الظنّ أنّ لغته لن تتغيّر عن لغة سلفه. أمّا الذي يخرج منها بالسفر أو الاطّلاع على خبرات غيرها من المجتمعات فسوف تتسرّب إلى لغته مفردات جديدة، وقد يلحق اللحن بلهجته، ولنضرب لذلك مثلا بأهل صعيد مصر، من ينفق منهم حياته في قريته الصغيرة لا يبرحها، ومن يسافر منهم إلى العاصمة، ومن يسافر منهم إلى بلد عربي أو أجنبي. لا يستوون.

ولقد أثمر الاهتمام المتزايد بالعلاقة بين اللغة والثقافة وبين اللغة والمجتمع اهتمامًا مناظرًا في دراسات الترجمة – وهل الترجمة إلّا نقل معنى من لُغة إلى لُغة، من نظام تشفير إلى نظام تشفير سواه؟ وهذه إلمامة بمنعطفين مُهمّين في تاريخ دراسات الترجمة، هما **المنعطف الثقافي والمنعطف الاجتماعي**. لكنّ من الملائم قبل تفصيل الكلام عنهما تأطير الزوايا والجهات التي تناول منها المنظّرون الترجمة.

(3) زوايا ومستويات أربعة

يميز تشسترمان Chesterman (2007) مستويات أربعة يمكن أن تُتناول عندها الترجمة وزوايا أربعة يُمكن مقاربتها منها. وهذا بيان هذه المستويات والزوايا:

على المستوى اللغوي linguistic، تنشغل دراسة الترجمة بالمفردات والتعابير، والشفرات اللفظيّة/ اللغويّة وغير اللفظيّة، وصِلة النّص الأصلي بترجمته، وأدوات الترجمة ووسائلها، وبمفاهيم التكافؤ والاستساغة والطلاقة، وبالبحث عن سمات عامّة في النصوص المترجمة في حقل من الحقول المعرفيّة.

على المستوى الثقافي cultural، تنشغل دراسة الترجمة بالأفكار والمعايير والتوقّعات، وبانتقال العناصر والمفردات الثقافيّة من لغة إلى لغة. ومن الأسئلة المهمّة في هذا الصَّدد سؤال المُعتقدات ideologies والهويّات identities والقيم الثقافيّة cultural values، والعلاقات بين المراكز centers والأطراف peripheries، بين المتون والهوامش، والقوّة power والنفوذ وأخلاقيّات الترجمة translation ethics.

تنشغل دراسات الترجمة **من منظور معرفي cognitive** بما يدور في عقل المُترجم وهو يتّخذ قراراته الترجميّة، وأثر مشاعره وتوجّهاته، وخبراته، وما يسنح له من وقت، وطبيعة مُهمّة الترجمة المطلوب إنجازها في تلك القرارات. مدار الانشغال هنا هو **فعل الترجمة** translation act، هو العمليات المعرفيّة الذهنية التي تدور في عقل المُترجِم والتي يمكن الوقوف عليها بالملاحظة. وفي الترجمة الشفهيّة ينضاف إلى ذلك جسد الترجمان، ولياقته، وهيئته، وذاكرته، وما إلى ذلك.

وتنشغل دراسات الترجمة **من منظور اجتماعي sociological** بالترجمة بوصفها ممارسة اجتماعيّة، وفعلا اجتماعيًّا له غايات وأغراض، ومن ذلك انشغالها بسوق الترجمة translation market والعرض والطلب

عليها، ودور الناشرين ومؤسّسات النّشر والتوزيع، وغيرها من الأطراف الفاعلة agents في الترجمة، ودور الرّعاة patrons، ومكانة المُترجِم، وأدواره في مجتمعه.

(4) المنعطف الثقافي

كتب محمود لطفي ثابت في مقدّمة ترجمته مسرحية (پيريكليس أمير صور) لشيكسبير: "قد اختصرتُ ولطّفتُ كثيرًا من الألفاظ البذيئة التي تُقال في مثل هذه الأماكن - يقصد بيوت الخَنَا والدِّعارة - كيلا تتأذّى من قراءتها أو سماعها السيّدات والأوانس المُخَدَّرات فعساني أكون قد أحسنت..." وكُتِب أسفل العنوان في صفحة الغلاف: "رواية أخلاقيّة شرقيّة تمثّل الطُّهر والعفاف، وتُرينا احتمال الشدائد والصبر عليها كيف يكون".

وعي ثقافي cultural awareness - **معرفة بالثقافة** التي ينتمي إليها النّص الأصلي وتلك التي يخاطبها النّص المُترجَم. ما نفع المعاجم وكتب النحو وأنت تترجم *He is carrying coal to Newcastle* ما لم تكن مُلمّا بثقافة النَّصّ؟ سوف تترجم الجملة "يحمل الفحم إلى نيوكاسل". قليل من المعرفة الثقافيّة سوف ينتهي بك إلى ترجمة الجملة إلى "يبيع الماء في حارة السقّائين" أو "يعطي من لا يحتاج" – لأنّ مدينة نيوكاسل معروفة بوفرة إنتاجها الفحم. وما انتفاع قارئ بعبارة "عقب أخيل" في ترجمة عبارة Achilles' heel ما لم يكن من ترجمها واعيًا بظلال معانيها؟

من الموضوعات المّهمّة التي يدرسها طلّاب وطالبات الترجمة فصل في ترجمة التعابير والمفردات الثقافيّة culture-based terms (CBTs). لكنّ المنعطف الثقافي في دراسات الترجمة يتجاوز هذه التعابير إلى دراسة الترجمة من منظور ثقافي. وقد تقدّم أنّ هذا التوجّه ينشغل بالأفكار والمعايير norms والتوقّعات expectations، وبانتقال العناصر والمفردات الثقافيّة من لغة إلى لغة. ومن الأسئلة المهمّة في هذا الصدد سؤال المعتقدات والهويّات والقيم الثقافيّة والعلاقات بين المراكز والأطراف، بين المتون والهوامش، والقوّة والنفوذ وأخلاقيّات الترجمة.

ومن ثمّ تنشغل دراسات الترجمة من هذه الزاوية بترجمة ما بعد الاستعمار/ الاحتلال postcolonial، وعلاقة الترجمة بالنّوع الاجتماعي gender، وباستمازة المداخل الوصفيّة descriptive من المداحل التي لها التزامات ثقافيّة وسياسيّة واجتماعيّة committed، وبالترجمة بوصفها إعادة كتابة rewriting. كذلك ينشغل التوجّه الثقافي في دراسات الترجمة بتغيّر معايير الترجمة من زمن إلى زمن، وبالترجمة بوصفها فعل استلاب appropriation والتهام cannibalism وغزو invasion واستغلال manipulation.

قد تكون مبرّرات إعادة الكتابة أيديولوجيّة ideological – من التزام معتقدات سائدة أو الثورة عليها - أو فنّيّة/ أدبيّة poetological – من التزام تقاليد وأعراف أدبيّة أو التمرّد عليها. *يضرب ليفيڤير* مثلا لذلك ترجمة إدوارد فيتزجيرالد (رباعيّات الخيّام) من الفارسيّة إلى الإنجليزية، إذ منح المترجم نفسه حريّة التصرّف في النّصّ الأصلي بما يجعله ينسجم مع التقاليد والأعراف الأدبيّة الإنجليزية.

في وصل الثقافة بالترجمة يستطاع تصوّر ثلاثة مستويات أو أطر للثقافة تأسيسًا على تصوّر إدوارد هوول Hall الثقافة بوصفها جبل جليد iceberg، أكثر ما فيه خفيّ لا يُرى، ولا يُرى منه إلّا ظاهره (ستورج Sturge، 2009، بالمبو Palumbo، 2009).

المستوى الأول هو المستوى **التقني الفنّي** technical، مستوى التعلّم الواعي الصريح، حيث تكون المفردات ذات الخصوصيّة الثقافيّة.

المستوى الثاني – ثقافة رسميّة - هو مستوى **الممارسات المشتركة** shared practices، كما يكون في أنواع الخطابات والنّصوص، حيث تمارس المعايير والأعراف دورها في استمازة ما يُقبَل مما لا يُقبَل.

المستوى الثالث – ثقافة غير رسميّة - هو ما لا يُرى من جيل الجليد، وهو ما يغرسه الآباء والأمّهات والمعلّمون والمعلّمات والمؤسسات الدينيّة والإعلام من قيم ومعتقدات ومباديء في نفوس النشء. وهنا تتصادى الثقافة مع **مفهوم التطبّع أو المَلكَة أو السمت** habitus كما وصفه بورديو.

ينزع المترجمون إلى الانشغال بما يُرى من جيل الجليد، بينما ينزع منظّرو الترجمة ودراساتها إلى الانشغال بما لا يُرى منه (ستورج، 2009). تلك الجوانب التي لا تُرى من جبل الجليد هي التي يتشكّل منها السلوك والفعل، ومن ذلك فعل الترجمة، فلن تزال معتقدات من يترجمون ومن يقومون على الترجمة تؤثّر في الترجمة وفي قصد تركها انطباعات في متلقيّها (فوسِت Fawcett، 1998، ص 107).

جبل الجليد
تنويع على إدوارد هوول (1976)

"تتعدّد وجوه العلاقة بين الترجمة والمذهب أو المعتقد (الأيديولوجيا). كلّ ترجمة في جانب من جوانبها تعبير عن مذهب أو معتقد، بداية من اختيار نصّ للترجمة ثمّ ما يكون من استعمالات ترجمته بما يحقّق مصالح العناصر الفاعلة في الترجمة وغاياتهم وأهدافهم. ثُم يؤثّر المعتقد أو المذهب في عملية الترجمة ذاتها، ومن ذلك الاختيار الواعي المقصود لمقردات وتراكيب نحويّة على حساب غيرها. لكنّ تأثير المعتقد والمذهب في الترجمة يتغيّر مع تغيّر الجنس أو النوع الخطابي والغايات التواصليّة، فلا غرابة في أن يكون هذا التأثير من أوضح ما يكون في ترجمة النّصوص السياسيّة" (شافنر Schäffner، 2003، ص 23، بقليل من التصرّف)

من الأسئلة الثقافية في دراسات الترجمة الحديثة

- تمثيل الهامشي/ الثانوي/ التابع subaltern في الخطاب السائد dominant discourse، وكذا تمثيل الآخر other المختلف. وكيف يظهر التجميل والتقبيح في الخطاب الذي تلتقي فيه ثقافتان، تجميل أنا ونحن، وتقبيح الآخر، تضخيم فضائل الأنا ورذائل الآخر، وتقزيم رذائل الأنا وفضائل الآخر. وقد يصل الأمر إلى حدّ تحسين القبيح وتقبيح الحسن.

- الاستشراق orientalism أي الشرق بعيون أهل الغرب، وقد يبالغ المستشرقون فلا يرون في الشرق إلّا قلّة العقلانيّة وقلّة الرشاد، والاستغراب occidentalism أي الغرب بعيون أهل الشرق، وقد يبالغ المستغربون فلا يرون في الغرب إلّا الانحلال والمجون.

- التهجين hybridization وهو ذلك الفضاء الثالث، وتلك الهويّات المهجّنة التي تنشأ من التقاء ثقافتين. فضاء قلق غير مستقرّ، وهويّات عالقة تعيش في توتّر.

- الاستحواذ والتطويع الثقافي cultural appropriation وهو استلاب عناصر ثقافة على يد أهل ثقافة أخرى، ومن ذلك تحويل متحف إلى مسجد، أو مسجد إلى كنيسة، أو كنيسة إلى مسجد.

- الهيمنة hegemony التي تمارسها ثقافة سائدة على ثقافات تابعة هامشيّة. لا تكون هيمنة من غير أسباب قوّة power وسيطرة control، قد تكون أسبابًا اقتصاديّة أو سياسيّة أو جغرافيّة أو تاريخيّة أو لغويّة إعلاميّة.

- التمركز العرقي أو التمحور حول العرق ethnocentricism الذي يرى في سلوكيّات عرق من الأعراق المعيار والمقياس الذي تقاس إليه سلوكيّات غيره من الأعراق. وهذا ديدن نظريات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة التي نشأت في الغرب، فهي ترى في الغرب المعيار والمقياس الذي تقاس عليه كلّ ممارسات الثقافات الأخرى.

هذا المقطع الأخير من قصيدة إدوين ماركام Edwin Markham (الرجل والمسحاة) The Man with the Hoe (1899) تتبعه ترجمة محمود شاكر:

O masters, lords and rulers in all lands,
How will the Future reckon with this Man?
How answer his brute question in that hour
When whirlwinds of rebellion shake the world?
How will it be with kingdoms and with kings—

With those who shaped him to the thing he is—
When this dumb Terror shall reply to God
After the silence of the centuries?

أيها الأرباب والأمراء والحكام في جنبات الأرض..
ألا أخبرونا أين يضع الغيب المحجوب هذا الانسان؟ وكيف يجيبهُ عن سؤالهِ الْمُتَوثّب الضاري يوم تزلزل الأرض، وتخرُّ الجبال ويتدافع الكون بعضه في بعض!! ألا وظنُّوا ما يفعل بهؤلاءِ الأرباب الظالمين والملوك المتجبّرين الذي نكَّروا الصورة التي سوَّاها الله ثم صوَّروه في تجاليد هذا المسخ الهائل.
ظُنُّوا.. يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات.
يوم يأتي القاهر الجبَّار ليحاسب خلقه الجبارين.
يوم ينطق الحقُّ الأبديُّ، ويسكت الزمن الفاني.
﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ - النبأ: 38.
﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ - النبأ: 40.

(5) المنعطف الاجتماعي

عبارة المنعطف الاجتماعي هي sociological/ social turn يجوز لها أن تحتمل social وهي صفة من "المجتمع"، و sociological وهي صفة من "علم الاجتماع"، لا تستويان - على ما بينهما من قربى دلاليّة.

الترجمة ممارسة اجتماعيّة social practice، على معنى أنّها "نشاط ينظّمه مجتمع" أو "نشاطٌ اجتماعيٌّ في تنظيمه" socially-regulated activity (هيرمانز Hermans، 1997، ص 10). في الكلام عن المجتمع، لا تغيب الثقافة، ولا يغيب المجتمع في الكلام عن الثقافة. الثقافة هي التي تشكّل البنى والتنظيمات الاجتماعيّة الطارئة، وهي تتشكّل بدورها بالبنى والتنظيمات الاجتماعيّة القائمة. لا تنفصل الثقافة عن المجتمع ولا المجتمع عن الثقافة، ويكثُر أن تجمعهما كلمة مركّبة socio-cultural، ويكثر أن تسقط الشرطة الواصلة فتصير كلمة واحدة sociocultural. لكنّ المفردتين ليستا متطابقتين، فالمجتمع بشر في تنظيمات شتّى وعلاقات متنوّعة، والثقافة سلوكات ومعتقدات وأفكار. وهذه بعض المفاهيم والمصطلحات المهمّة في المنعطف الاجتماعي في دراسة الترجمة.

علم اجتماع الترجمة sociology of translation حقل معرفي بيني interdisciplinary يجمع بين الترجمة وعلم الاجتماع، وينقل الاهتمام من النّصّ إلى المُترجِم، بالنّظر إلى الترجمة بوصفها ممارسة اجتماعيّة، وإلى المترجم بوصفه فردًا فاعلا في مجتمع، يؤدّي أدوارًا شتّى، ويدخل في شبكات من العلاقات – مع مؤسسات الترجمة ومراكزها، وعملائها، وقرّائها، أو متلقّيها، وأساتذتها، وخبرائها، ومدرّبيها، ونُقّادها، ومع الرُّقَباء، والمراجعين، والمُدقّقين، والمُحرّرين، وأصحاب حقوق الملكيّة الفكريّة، والمؤلفين، ودور النشر، والوسطاء، ومع نظرائه من المترجمين، وهكذا - ومجالات اجتماعيّة ومهنيّة مختلفة.

المجال أو الحقل field هو فضاء من الممارسات والعلاقات الثقافيّة والاجتماعيّة له حدود وقواعد وقوانين، وفيه تعاون وتنافس – ومن ذلك مجالات التعليم والفنّ والرياضة. ومن ذلك مجال الترجمة. كلّ مجتمع يتفرّع إلى عدد كبير من الحقول والمجالات. ويظلّ كلّ فضاء أو مجال في تغيّر وتحوّل لا يستقرّ، ويكون له أثر ظاهر عميق في سمت كلّ فرد ينتمي إليه وملكاته. وليس المجال أو الحقل - في تصوّر بورديو - كالنّظام system أو البناء structure، ففي المصطلحين الأخيرين ما يشير إلى الاتّساق والانسجام. وليس هذا حال المجال أو الحقل، ففيه

صراعات وتوتّرات -صراعات حقيقيّة بين أطراف حقيقيّة على مصالح حقيقيّة، خصوصًا بين الراسخين والثقات في المجال وبين حديثي العهد به والوافدين الجدد (بورديو Bourdieu، 1999، ص 72).

والمجال أو الحقل جزء من **فضاء اجتماعي** social space. وترد في كتابات بورديو كذلك مفردتا market ("سوق") و game ("لعبة") وهما تقتربان من مفهوم المجال، لكن لا تتطابقان معه. في كلّ سوق مكاسب وخسائر، ورابحون وخاسرون، وتنافس على مواقع، ولكلّ لعبة قواعدها المرعيّة. وفي وصف حنّا Hanna (2016) مجال **ترجمة الدارما** drama translation في مصر تطبيق نافع لمن يهمّه الأمر. وفي الكتاب استعراض لا يستغني عنه منشغل بعلم اجتماع الترجمة يتناول تصوّرات بيير بورديو في صلتها بالترجمة.

يستعمل بيير بورديو مصطلح **رأس المال الثقافي** cultural capital ليشير به إلى تلك العناصر الرمزيّة التي يكتسبها الفرد بحكم انتمائه إلى طبقة من طبقات المجتمع، من قبيل المهارات، والأذواق، والعادات اللغويّة ولغة الجسد وما إليها. يتفرّع رأس المال الثقافي إلى: ذلك الذي **يتجسّد** embodied فيتجلّى في مهارات وممارسات، وذلك الذي **يتشيّأ** objectified فيصير لوحات فنّية وآثارًا وأدوات، وما إليها، وذلك الذي يكتسب صفة **موسسيّة** institutionalized فيصير شهادة أو درجة علميّة أو لقبًا.

أمّا **رأس المال الاجتماعي** social capital فهو شبكة العلاقات التي يستطيع الفرد التعويل عليها. وهو عامل مهمّ – في مجال الترجمة - من عوامل نجاح المُترجم، وتطوّر خبراته وموارده ومصادره. وكما يظهر في التعريف برأس المال الثقافي أعلاه، يمكن أن يصبح رأس المال الاجتماعي من مصادر رأس المال الاقتصادي.

يشير مصطلح **الهابيتوس أو السجيّة أو التطبّع** – وهو "المَلَكَة" بعبارة ابن خلدون - إلى التجسيد السلوكي لرأس المال الثقافي، والعادات والنزعات التي يكتسبها الفرد من خبرات حياته، ومن انتماءاته إلى مجالات وفضاءات اجتماعية ومؤسسيّة ومهنيّة. ويجدُر بالذكر أنّ التطبّع مُكتَسب، بخلاف الطبع الفطري الغريزي. التطبّع جملة من الميول والنزعات والتوجّهات تميز فاعلًا agent في مجال من المجالات أو حقل من الحقول. هو **تركيبة عقل** mindset هذا الفرد الفاعل – وهو المترجم في حالنا الراهن.

يرتبط السمت أو التطبّع **بالحراك الاجتماعي** social mobility - صعودًا أو هبوطًا – وينشأ في غالب الحوال من انقسام بين طبقتين أو مهنتين

من التطبّع ما يكون جزءًا من **التنشئة الاجتماعيّة الأولى** - primary habitus - ومنه ما يكتسب في **مرحلة لاحقة من الدراسة والعمل** - professional habitus. هذا التطبّع، هذه الملكة المكتسبة في حقل الترجمة - وهي ثمرة نموّ المترجم الشخصي، وكذلك ثمرة انتمائه إلى أسرة وطبقة ومجتمع – هي التي توجّه تفكير المترجم، وتحسم قراراته وهو يترجم، وقبل أن يترجم. من تراكم هذه القرارات من مترجمين كثر ومن رواجها تتشكّل **معايير الترجمة وأعرافها**، وقد يُعاد تشكيلها.

من المفاهيم التي ترد في تصوّر بورديو كذلك مفهوم illusio – **"الدخول في اللعبة"** - ويشير به إلى شعور الفرد بالإقبال على اللعبة التي يصبح جزءًا منها، وعلى المجال الذي ينتمي إليه، والتزامه حدود اللعبة أو المجال وتقيّده بها.

وقد أحسن سيميوني Simeoni (1998) إذ وصف عمل المترجم - في السياقات التي لا يكون له فيه سلطان على اختيار الترجمة، أو وجهتها، أو منهجيّتها، أو معاييرها، والتي لا يجد فيها المقابل المادّي أو المعنوي الذي يحفظ عليه حماسه ودافعيّته - أنّه **"سخرة تطوعيّة"** أو "عبودية اختياريّة" voluntary servitude. في مثل هذه السياقات تكون مكانة المترجم ومكانه بعبارة سيميوني **"في حقيقته خادم"** a quintessential servant أو **شخص منبوذ** priah (ص 12). هذا هو الطرف النقيض من صورة المترجم الكاهن translator-as-priest القيّم على كلمة الله والتي ارتبطت بالقدّيس جيروم ومارتن لوثر وغيرهما، ومن صورة المترجم الذي كان ينال وزن ما يترجم من الإغريقيّة إلى العربيّة ذهبًا في زمن حنين بن إسحاق في القرن التاسع الميلادي (برونك Prunč ، 2007).

معتقد سائد أو رأي رائج doxa. المعتقد السائد أو الرائج هو في مكان ما بين **الإجماع** orthodoxy – قد يُقال له "الرشاد"، وبسبيل تعريبه و"أسلمته"، يجوز أن يقال له "حنفيّة" - وكلّ **خروج على هذا الإجماع** heterodoxy – وقد يُقال لهذا الخروج "جنوح" أو "بدعة" أو "شذوذ" أو "انحراف". (مفتاح الشكّل: **فضاء الخطاب والجدل، الرأي، إجماع، خروج على الإجماع، فضاء ما لا يقبل النّقاش أو الجدل)**

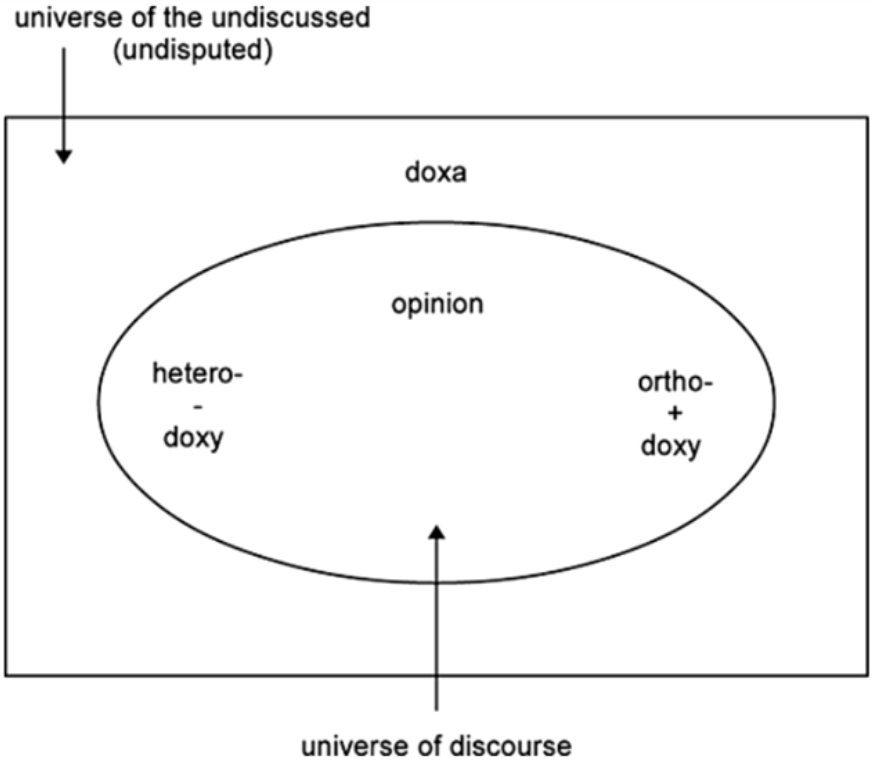

وهذا مخطط يوضّح مفاهيم بورديو الثلاثة – المجال، ورأس المال، والسمت أو التطبّع، منقول ومترجم من رحيمي Rahimi وآخرين، 2018)

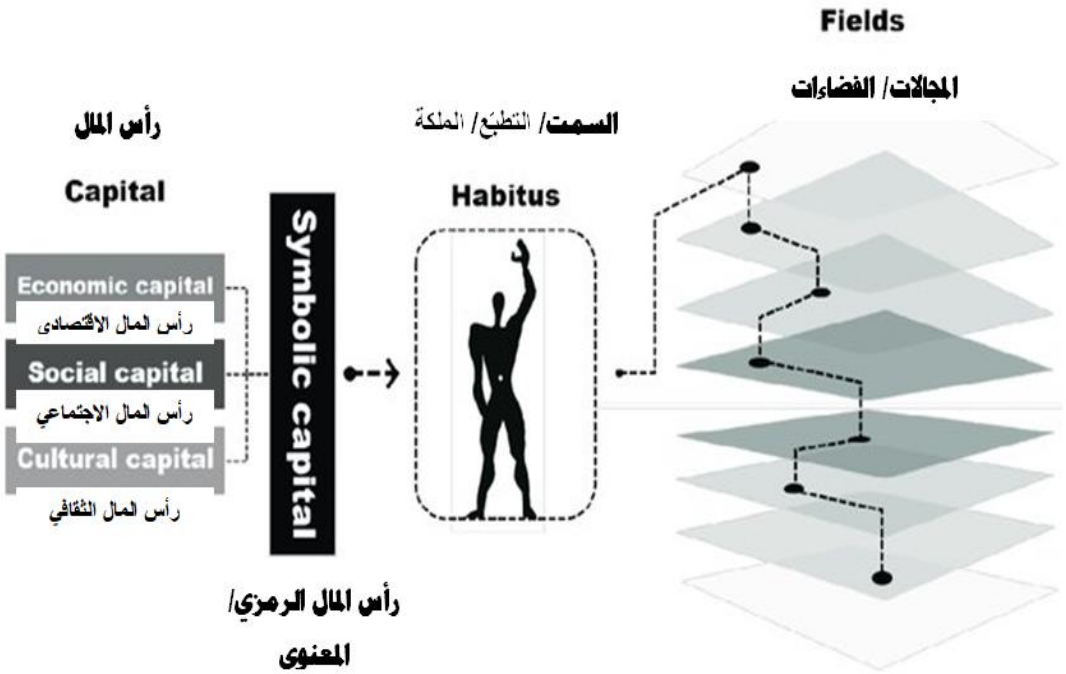

وهذا مثل كاشف من كتاب حنّا (2016، ص 123) يشير فيه إلى موضع من مواضع ترجمة مطران خليل مطران مسرحيّة (عطيل)، يضفي المترجم فيه على عطيل طابعا عربيًا، ويجتهد في تغييب كلّ ما يشير إلى الديانة، وإذا لزم الأمر يستبدل بالعبارات المسيحية عبارات إسلاميّة. المثل من الفصل الرابع، المشهد الثاني، إذ يواجه عطيل ديدمونة ويفصح عن شكوكه، فيسألها: "Are you a strumpet?"، فتجيب ديدمونة: "No, as I am a Christian". يصير النّص في ترجمة مطران "عطيل: ألست عاهرة؟ ديدمونة: لا والذي خلقني مُتقيّة".

بسبيل الاستدراك

(أ) عُنف الترجمة Violence of Translation

فينوتي Venuti **(1995، ص ص 18-19)**

"يتأسس احتمال الترجمة على علاقتها بالظروف الثقافيّة والاجتماعيّة التي تحدث وتُقرأ فيها." "وفي هذه العلاقة ما يُشير إلى العنف الذي يكمُن في غرض الترجمة وفي أدائها – ففيها إعادة تأليف النّصّ الأجنبي بما يتوافق مع القيم والمعتقدات والتصوّرات التي تكون سابقة عليه في اللغة المنقول إليها ... الترجمة هي استبدال قسري لما في النّصّ الأجنبي من فرادة واختلاف لغويّ وثقافي بنصٍّ يستسيغه القارئ المُستهدَف. هذا الاختلاف - هذه الفرادة - لا يُستطاع محوه، لكنّه بطبيعة الحال يقع تحت طائلة الاختزال وإقصاء الدلالات المُحتملة. ... غاية الترجمة هي أن يصير بها الآخر الثقافي نسخة منّا، مما نعرفه ونألفه، ومن مخاطر السعي إلى هذه الغاية استئناس النّصّ

الأجنبي استئناسًا كاملًا، ويكون ذلك عن وعي وقصد، بحيث تصبح الترجمة أداة لاستلاب الثقافات." "نستطيع أن نجد تأثيرات العنف في الترجمة في الداخل والخارج على حدّ سواء، فمن جهة تكون للترجمة قوّة هائلة في تشكيل الهويّات القوميّة لأصحاب الثقافات الأجنبيّة، ومن الجهة الأخرى، وبسبب الترجمة، تدخل النّصوص الأجنبيّة في مراجعة التقاليد والثوابت الأدبيّة في الثقافة المنقول إليها. وبسبب الترجمة، يكون توظيف النّصّ الأجنبيّ في مراجعة الأنساق الذهنيّة/ المفاهيميّة السائدة، ومنهجيّات البحث، والممارسات الطبّيّة العلاجيّة، أو الإبقاء عليها وإعادة إنتاجها في الحقول المعرفيّة والتخصصات المهنيّة في اللغة المنقول إليها ... هذه التحيّزات والآثار الاجتماعيّة (التي تتجسّد في حقيقة النّصّ المُترجم، في طريقته في إنتاج المعنى من الخطاب، وفي ما فيه من إيحاءات ودلالات تستعصي على التقييد عند القاريء المنقول إليه النّصّ، وكذلك في اختيار النّصّ من حيث المبدأ، وطرائق نشره وتقييمه وتعليمه أو تدريسه) كلّ هذه الملابسات تسمح لنا أن نعتبر الترجمة ممارسة ثقافيّة سياسيّة، تتشكّل منها هويّات تصبغها معتقدات للثقافات الأجنبيّة، أو ربّما تخضع تلك الهويّات للتفنيد والمراجعة، فيكون من ثمار ذلك ترسيخ القيم البلاغية أو الخطابيّة وتلك الحدود التي تفرضها المؤسسات في الثقافة المنقول إليها النّصّ، أو انتهاكها وتجاوزها. ... بعض ما يقع من عنف في الترجمة وبها لا مفرّ منه ولا مهرب، فهو جزء جوهري من عمليّة الترجمة، وبعضه مُحتمل يمكن تفاديه، قد يقع في أي مرحلة من مراحل إنتاج النّصّ المُترجَم وتلقّيه، ويتباين بتباين التشكيلات والأنساق الثقافيّة والاجتماعيّة في اللحظات التاريخية المختلفة."

(ب) ترجمة وترجمة مُضادة

سولومون Solomon (2007)

"ترتبط الترجمة بالعنف بطريقين أساسيّين، الأول هو ما يقع في عمليّة الترجمة ذاتها، ذلك لأنّ الترجمة لا تكون نهائيّة ولا حاسمة ولا تخلو على الإطلاق من عنف استعاريّ مجازيّ يكابده الأصل، منطوقًا كان أو مكتوبًا. كلّ ترجمة تظلّ في جوهرها عرضة لاحتمال ترجمة مُضادّة، ومن ثَمّ تصبح الحاجة إلى إعادة الترجمة مشروعة سانحة – وهكذا تظلّ الترجمة نوعًا من الشدّ والجذب المستمرّ في تناول منتج لغويّ. لهذا السبب على وجه التحديد، يظلّ ترسيخ فكرة الترجمات 'الرسميّة' 'المعتمدة' يحكم التفاعلات اللغويّة، وكذلك المؤسسات الاجتماعيّة ذات الصلة. هنا نصل إلى الوجه الثاني من وجوه العنف الذي يقع في الترجمة، ذلك الذي يتعلّق بالبعد التاريخي للممارسات الاجتماعيّة، ويحدث حين ينفضّ الصراع حول معاني النّصّ المُحتملة من خلال فرض مجازات ودلالات نهائيّة ثابتة يدعمها ظهير مؤسّسي وإجراءات تنظيميّة لا تسمح بمساءلتها". (سولومُون، 2007)

المراجع

(أ) العربيّة

عبد الرحمن بن محمد **بن خلدون**: (**تاريخ ابن خلدون**) تحقيق: أبو صهيب الكرمي. عمّان، الأردن: بيت الأفكار الدولية، دون تاريخ.

مصطفى صادق **الرافعي**: (**تاريخ آداب العرب**)، ج 1. المنصورة: مكتبة الإيمان، 1911.

جرجي **زيدان**: (**اللغة كائن حيّ**)، ط 2. بيروت: دار الجيل، 1988.

أبو الفتح عثمان **بن جني**: (**الخصائص**)، ج1. تحقيق محمد علي النّجار. القاهرة: دار الكتب المصريّة، 1986.

محمد مصطفى **المراغي**: (**بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها**)، تحقيق صلاح الدين المنجد. بيروت: دار الكتاب الجديد، 1936.

حسين **مؤنس**: (**الحضارة**). سلسلة عالم المعرفة، ع 237. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1998.

(ب) الأجنبيّة

Bourdieu, Pierre (1993). *Sociology in Question*. Trans. Richard Nice. London: Sage Publications.

_____ (1986) ."The forms of capital." In: J. G. Richardson (ed.), *Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education* (pp. 241–258). New York: Greenwood Press.

Chesterman, A. (2007). "Bridge concepts in translation sociology**."** In: Michaela Wolf and Alexandra Fukari (eds.), *Constructing a Sociology of Translation* (pp. 171-186). Philadelphia and Amsterdam: John Benjamins**.**

Fawcett, P. (1997). *Translation and Language: Linguistic Theories Explained.* Manchester: St. Jerome Publishing.

_____ (1998). "Ideology and translation." In: Mona Baker (ed.), *The Routledge Encyclopedia of Translation Studies*, (pp. 106-111). London and New York: Routledge.

Goddard, Cliff (2005). The lexical semantics of culture. *Language Sciences*, 27: 61-73.

Hall, Edward T. (1976). *Beyond Culture*. New York: Anchor Books/ Doubleday.

Hanna, S. (2016). *Bourdieu in Translation Studies: The Socio-Cultural Dynamics of Shakespeare Translation in Egypt*. New York and London: Routledge.

Kaplan, Robert B. (1966). Cultural thought patterns in intercultural education. *Language Learning* 16(1-2): 1-20.

Lewis, Bernard, (2004). *From Babel to Dragomans: Interpreting the Middle East*. Oxford: Oxford University Press.

Palumbo, G. (2009). *Key Terms in Translation Studies*. London: Continuum.

Prunč, Erich (2007). "Priests, princes and pariahs. Constructing the professional field of translation." In: In: Michaela Wolf and Alexandra Fukari (eds.), (pp. 39-56).

Rahimi, S., Mottahedi, S. & Liu, X. (2018). The geography of taste: Using Yelp to study urban culture. *IPSRS: International Journal of Geo-Information*, 7(9):376. https://doi.org/10.3390/ijgi7090376

Sapir, Edward (1929). The status of linguistics as a science. *Language* 5:207-214.

Schäffner, Christina (2003). "Third Ways and New Centres: Ideological unity or difference?" In: Maria Calzada Pérez (ed.), *Apropos of Ideology: Translation Studies on Ideology – Ideologies in Translation Studies* (pp. 23-42). London and New York: Routledge.

Simeoni, D. (1998). The pivotal status of the translator's habitus. *Target*, 10(1), 1–39.

Solomon, J. (2007). Translation, violence and the heterolingual intimacy. Accessed June 10, 2022. https://transversal.at/transversal/1107/solomon/en

Sturge, Kate (2009). "Culture." In: Mona Baker and Gabriela Saldanha (eds.), pp. 70-73.

Venuti, L. (1995). *The Translator's Invisibility. A history of translation*. London and New York: Routledge.

_____ (1996). Translation as a social practice: or, the violence of translation. *Translation Perspectives* IX, 195–213.

_____ (1998). *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*. London and New York: Routledge.